لبنان
الأديب
العدد رقم 1
1 يناير 1954

نهضة الشعر في السودان

بقلم احسان عباس

في سنة ١٩٢٤ صدر كتاب شعراء السودان * يضم بين دفتيه مختارات من الشعر لسبعة وثلاثين شاعراً ، وبعد فترة قصيرة من صدوره واجهه النقاد بعاصفة قوية من النقد وقالوا نحن نرضى بهذا الشعر ليصور مرحلة في تاريخنا الادبي ولكنا نعتقد ان الادب السوداني يجب ان يتجه في غير هذه الطريق ، اما ان يظل الشعر قاصراً على الشكل القديم للقصيدة من ابتداء بالنسيب وحسن مطلع ومقطع ، او ان يبقى متوفراً على المدائح النبوية ومدح العظماء من الاحياء والاموات ، وشكوى الدهر ، والفخر بالسيف والرمح والقلم ، فذلك ما لا نرضاه .

وكانت هذه العاصفة الجديدة هي النذير الاول بالانحراف في اتجاه الشعر السوداني عن الطريق المعبدة التي مهدها له بعض قدامى الاساتذة المصريين في المدارس السودانية وجعلوا القدرة على النظم مقياساً للجودة . وكان الاتصال بأدب جديد في مصر وبالآداب الاجنبية مترجمة او في لغاتها الاصلية هو الشرارة الاولى التي نبهت الوعي عند المثقفين بكلية غوردون التذكارية والمعهد العلمي بام درمان (وهما اكبر مركزين للثقافة في السودان) الى ما كان يعانيه الادب السوداني حينئذ من تزمت في الشكل وتقليد في الموضوع . ويصور التيجاني — وهو احد المهديين — تأثره بالآداب الوافدة في قوله : « ولئن لم نكن في قليل او كثير من لغات الغرب فانما حذقناه بالواسطة من ادبه ولقناه بالدليل من اسباب الترجمة ووسائل التعريب لجدير ان يلقي علينا ظلالا من وحي باريس والهام لندن (مجلة الفجر ص ٢٤٧) . واسرف الشباب في تقبل الادب الوارد من مصر خاصة واولوه كل عنايتهم « وكانوا يقرأونه في خشوع ويتلقون الوحي عنه ويحسبون كل ما يكتب في مصر خلواً من العيب لا يعتوره نقص او قصور حتى اتهموا بفقدان ملكة النقد » (الفجر ص ١٠٤٢). ومن ثم كان الادب المهجري — مثلا — اضعف اثراً من الادب المصري لان بعض المتأدبين كانوا يشعرون — كما شعر التيجاني — بان الادب المهجري والشامي عامة ادب كنيسة يتحرق على مجامره الشعراء والكتاب ، وفيه اثر للمسيحية وفيه افراط في التصور — بوحي جبران — حتى ما تكاد تتبين معه الا متعة الخيال (الفجر ص ٢٤٧)

واخذت بوادر الاتجاه الجديد تتمثل في التيجاني والمدرسة التي التفت من حوله معجبة بطريقته آخذة باسبابها وكان من افرادها البارزين عبد القادر ابراهيم ومحمد السيد حمد ، وبعد قليل من الزمن قيض لهذا الاتجاه ان يقوى ويشتد حين وجد مجال التعبير عنه بانشاء مجلة النهضة (١٩٣١) ومن بعدها مجلة الفجر (١٩٣٤) واصبحت هاتان المجلتان مجلى للثورة الجديدة ولساناً ناطقاً بها . وهنا سار النقد والانتاج الادبي جنباً الى جنب وكان في مقدمة النقاد الموجهين صاحب الفجر عرفات محمد عبدالله ، ومحمد احمد المحجوب ، ومحمد عشري الصديق ، كما كان من ابرز الشعراء المجددين : يوسف مصطفى التني ، والمحجوب ، وخلف الله خالد ، وعرضي محمد خير (ميان) . ونستطيع

الاستاذ احسان عباس



* أتقدم بالشكر للشعراء الذين أطلعوني على مسوداتهم ، وللأصدقاء الذين قدموا الي العون الصحيح في اعداد هذا المقال وأخص بالشكر صديقي الشاعر سعد الدين فوزي لمراجعته هذا المقال ولما أبداه من ملاحظات قيمة

ان نسمي هذا الاتجاه الجديد بالحركة الرومانطيقية في الادب السوداني ، اذ مهما يختلف النقاد في مدلول هذا الاصطلاح فانهم لا يختلفون في ان الرومانطيقية ثورة على ما استقر من اوضاع في الادب والحياة ، وقد كانت هذه الحركة كذلك — ثورة لا على الادب التقليدي فحسب بل على كثير من الاوضاع الاجتماعية في مجتمع السودان ، وتضافر النقد والشعر على تأييد هذه الثورة

اما النقد فقد تناول في الناحية الأدبية دراسة كثير من المسائل كالطرق التي ينهض بهـــا الادب والفرق بين الذاتية والموضوعية والتقليد والابتكار (مجلة النهضـــه عدد ٣ — ٦) وألح المحجوب على فكرة الوصل بين الادب والحياة في كثير من مقالاته واكد ان الادب الذي يقوم على التجربة الصادقة يجيء أدباً خاوياً فارغاً ، وانتقد الاسراف في الاعتماد على الادب الغربي شكلاً وروحاً ، ودعا الى دراسة علم الاجتماع وعلم النفس. وتناول النقاد مسألة الادب القومي فنادوا بضرورة الاقبال عليه وحددوا طبيعته واصوله فقال عشرى الصديق في بعض ما كتب « الادباء الطامحون الى احياء الآداب القومية سواء كانوا في مصر او في السودان او في بلد آخر من بلدان الشرق الناهض يخلق بهم ان يتعمقوا في حياة الاوساط الاجتماعية كلها وان يحيطوا بأفكارها وامزجتها ويألفوا امثلتها العليا وامثلتهـــا السفلى وخرافاتها واساطيرها وقصصها واشعارها » . وهكذا قرن النقـــاد بين الادب القومي وفكرة التجربة التي تصل الادب بالحياة .

وتصدى النقد ايضاً للنواحي الاجتماعية فنادى النقاد بضرورة تعليم المرأة ، وتحرير السوداني من الشعور بالنقص إزاء الجاليات الأجنبية ، ورفع الذوق العام في الجماعة ، ودعوا في شيء من الحذر الى مبدأ « السودان للسودانيين » واستطاعت مجلة الفجر ان تثير مسألة العلاقة بين الثقافتين السودانية والمصرية وقام الاستاذ المحجوب يسند مبدأ الفصل بينهما في المناظرات والمقالات مستوحياً غايته من حقيقة الدعوة الى القومية والادب القومي ، وظهر بجلاء ان الادب الجديد يراد له ان يعيش في ظل « القومية والكينونة الذاتية » .

وتميزت هذه الحركة الجديدة بان كثيراً من أربابها كانوا ناقـــدين متفننين معاً ومن ثم نجد لكل من التني والمحجوب وعشرى الصديق وغيرهم آراء وتخطيطات ودراسات في كثير من النواحي الفنية الى جانب ما ينشرون من شعر ولم يحاول هؤلاء النقاد ان يضعوا لغيرهم قواعد عامة فحسب . بل ترسموا هم انفسهم هذه القواعد وحاولوا ان يطبقوها على انتاجهم وعلى من يدرسونه من الادباء ، واخذ القارىء السوداني يقرأ نقداً لشعر المازني ، والملاح التائه ، وشيطان العقاد ، وابي القاسم الشابي ، وغيرهم بأقلام نقاد سودانيين حاولوا ان يتجنبوا في احكامهم الوقوف عند مبدأي التقريظ والذم واختاروا مثالية الناقد الذي لا يحابي احداً على حساب المقاييس الفنية .

ولكن هؤلاء النقاد مسؤولون في النهاية عن شيء من النكسة التي اصيب بها واقع الشعر لانهم لم يكفوا عن الاعتقاد بان « الادب الخالص والفن لا يغنيان كثيراً في بلد يحتـــاج الى الاصلاح في كل ميادين الحياة » (موت دنيا ص ١٤٢) ، ولأنهم اعتقدوا ايضاً ان الحياة السودانية ليس فيها مـا يثير التجربة المنتجة لسيطرة الملل على نواحيها ، من ذلك قول الاستاذ المحجوب في مقاله الادب والحياة (الفجر ص ١٤٥) « وحياتنا حيـاة كفاف في الغذاء وفي الاجتماع وفي التعليم وأحلامنـــا احلام الاطفال لا تتعدى ذاتية الفرد ، والشعب لا يقبل النصح والفرد لا يقبل الآراء المخالفة لآرائه والكاتب الذي يحاول معالجة تلك الحياة لا يجد من قرائه صدراً رحباً » . واخذ اليأس يقوى في نفوس القائمين بالحركة لانهم حسبوا الطفرة شيئاً ممكناً فباعدوا الشقة بين الواقع الاجتماعي والمثال الجديد الذي رسموه لحياة امتهم وأدبها ، وكان يزيدهم يأساً كثرة ما يلاقونه من صعاب حتى قام بعض الناس يدعو الى التخلي عن عملية النقد كلها ليثمر الادب ثمراته بعيداً عن عنف الناقد الذي لا يرحم ، وضـاق بعض المتفننين انفسهم بالناقدين ورأوا في الفن سمـاء لا يمكن ان تتدنى الى ارض الناقد ، من ذلك قول التيجاني « ولقد تدهشك حيرة النقاد وجمودهم امام أرق المعاني واعذب الالفاظ وتساؤلهم في خبث عما تعنيه هذه الكلمات ... وهم بذلك انما يدللون على جدب ذوقهم الشعري وأنهم اغلظ احساساً وأجف عاطفة وابلد شعوراً من ان تلامس هذه التعابير ارواحهم في رفق ولين » . (الفجر ٤٩٧) .

ولقيت هذه الحركة من المقاومة العنيفة ما لقيته حركة التجديد في مصر من ثورة المحافظين . وكانت المدرسة الشعرية المحافظة قد تخلصت من بعض عيوب الماضي والتزمت جانب البيان القوي الناصع على يد الشيخ البنا والعباسي واحمد محمد صالح وعبدالله عبد الرحمن ، فاشتركت مع اهل الدعوة الجديدة

في صراع حاد ، وجعلت الشعر نفسه ميداناً لهذا الصراع فظهر في شعر الشيخ عبدالله عبد الرحمن ومحمد سعيد العباسي نفور واضح من القومية والادب القومي . وقد خيل للمحافظين ان في الحركة الجديدة قتلا للغة الفصحي وتفكيكاً لعرى الرابطة الاسلامية او الرابطة بين مصر والسودان فجاهروها بالعداء حتى ليقول صاحب ديوان الفجر الصادق :

ونبتت في السودان قوماً تآمروا   على اللغة الفصحى أساءوا وأجرموا
وبالادب القومي قالوا سفاهة   وما لمحوا حقاً ولكن توهموا
ألا نحن عرب قبل ان لعبت بنا   صروف الليالي والجهول الغشمشم

وعاب المحافظون صياغة الشعر الجديد فسموا رقتها تخنثاً ، واتهموا الشباب بتقليد الغرب وثار بعضهم على الدعوة الى تعليم المرأة وسفورها .

ولكن الشعراء الشباب كانوا متحمسين لحركة التجديد على اختلاف بيئاتهم الثقافية حتى ان شعراء المعهد العلمي — وهم الذين يمثلون الثقافة الدينية — كانوا في طليعة الداعين اليها . من ذلك قول عبد الوهاب القاضي في قصيدته « القديم والحديث »

لا تلوموا النشء في خطته   واعذروه ان أبى هذا الجمود
أرأيتم لو أطعنا قولكم   ثم رحنا في سبات وهجود
وتركنا كل أسباب العلا   وتمسكنا بأهداب الجمود

ويبارك التيجاني الادب القومي ويقول في وصفه :

أدب مطلق الأعنة يمشي   في صميم الحياة حراً طليقا
يلمس النفس في هدوء ويشتق   الى القلب في احتدام طريقا

غير ان مدرسة المحافظين كانت راسخة الاصول فلم تستطع الحركة الجديدة ان تقضي عليها فظل أدبها يمثل جانباً واسعاً من المبادىء والمثل العليا الراسخة في حياة المجتمع . ويمتاز شعراء هذه المدرسة بالقوة في التعبير واجادة السبك وبالاطلاع اللغوي الواسع ولكن المدح لا يزال هو موضوعهم المحبب ، وكثيراً ما يبدأون شعرهم بالغزل ، ويسخرون القصيدة لموضوعات كثيرة ، ويردد العباسي في شعره بعض الاعلام التي يدور حولها الوجد الصوفي كسلع وحاجر والعقيق ، ويستمد عبدالله عبد الرحمن من المدرسة القديمة كل طابعها فشعره تاريخ لاكثر الحفلات الرسمية التي اقيمت بين ١٩٢٧ — ١٩٤٦ كحفلات الهجرة في محرم والاحتفال السنوي بكلية غوردون . ومن الانصاف ان نقول انه سجل في شعره لمحات من حركات الاصلاح في البلاد كتأسيس المدارس ومشروع القرش ، وتحدث عن الاماني القومية المعقودة بمؤتمر الخريجين ، ويدور اكثر ما تبقى من شعره حول الوافدين الرسميين وغير الرسميين من رجالات مصر . وهو يشارك العباسي شعوره بفضل مصر غير انه اوسع آمالا من صديقه لأنه عميق الايمان بالوحدة الاسلامية او بوحدة عربية حنيفية كما في قوله :

وليس سوى الاسلام من وطن لنا   ولا غير أهليه أعد صحابا
كفى بقبيل الله جنساً ومذهباً   وبالله رباً والكتاب كتابا

وعلى الرغم من صلابة هذه المدرسة في محافظتها ، فان حركة التجديد أثرت في شكلها لا في روحها . ومن يقرأ الشرح على ديوان العباسي يحس كيف يحاول هذا الشاعر ان يتبرأ من فطنة البدء بالغزل — احياناً — فيقول ان غزله رمزي يوجهه الى عتاب انجلترا الحاكمة . ويضفي على المبهمات من اعلام الاماكن معاني مستمدة من احداث السودان واشخاصه . وقد تغنى العباسي على طريقته الشكلية بكثير من نواحي الطبيعة السودانية وعظمة التاريخ المتصل بوطنه . ويحاول الشيخ عبدالله عبد الرحمن ان يستكثر من الاسماء الاجنبية في شعره ويصف نفسه بالواقعية ويقول : اننا عفنا مقامنا « على هامش الكتب المؤكلة الجلد » .

اما المجددون انفسهم فقد اوقعتهم ثورتهم المثالية في شيء من التناقض ذلك انهم دعوا الى التجربة واستكشاف المجتمع وتفهم نفسياته ومثله العليا قبل ان يتم لهم التنفس من قيود المجتمع والاستسلام الى عالمهم الجديد — المنعزل — المسحور بالحب والعطر والحسن والخمر . ومع ذلك فانهم استجابوا الى داعي الدعوة الجديدة وتلمسوا اليها اقرب الطرق التي يطل عليها عالمهم ، فتغنوا بجمال الطبيعة السودانية ، والتفتوا احياناً الى شيء من التاريخ الوطني كما فعل خلف الله خالد (خلف) في قصيدة « جبل سرغام » حيث يستثير ذكريات البطولة المتمثلة في معركة ام درمان . وكاد الشعر يخضع للعصبية الاقليمية في مظاهر كثيرة حتى ان الشاعر يحس بما في الاقاليم الاخرى من جمال وسحر ولكنه يصارحك بانه لا بد من الاخلاص . لطبيعة بلاده أولا كقول المحجوب في قصيدة « السودان الشاعر » :

النازلون ضفاف النيل نقبلهم   والصاعدين جبال الارز واحربي
الله يعلم كم في الثغر من مرح   وكم بسفحك يا لبنان من عجب
وكم بقلبي من حب وعاطفة   نحو الشآم وذاك الساحل اللجب
لكن حباً لهذا القطر يدفعني   الى الهيام بأرض واحات سبي

واتخذ بعضهم القصة الشعرية مجالا للتحدث عن بعض المشكلات

الاجتماعية وكانت اكثر هذه القصص ترمي الى اظهار الظلم الفادح الذي تعانيه المرأة : فصور التيجاني في قصيدة « القمر المجنون » امرأة جنت لانها زوجت بأمر اهلها بمن لا تحبه . وفي قصيدة « غرام الشيوخ » لخاف ، قصة الفتاة التي زفت الى رجل هرم . وعند المحجوب ثورة خلقية في قصيدة « ضحية الحسن » على رجل غادر خدع امرأة عن نفسها كما صدر في قصيدة « آمنة » فتاة اخلصت الحب لفتى ضعيف الارادة تحكمت فيه امه وصرفته عن حبيبته زاعمة ان امها لم تكن على خلق رضي.

غير ان هؤلاء الشعراء كانوا اكثر اخلاصاً لفرديتهم . ولما كان كثير منهم يمثل النشأة الريفية ظهرت في اشعارهم عاطفة الحنين الى الريف ، وذلك لاصطدامهم في المدينة بنوع من الحياة المعقدة ، فتذكروا حياة البساطة وعهود الطفولة وكان ذلك اقراراً منهم بالتوجه الى عزلة حقيقية وباخفاق في مواجهة المجتمع الذي يريدون ان يوسعوا فيه حدود التجربة .

ولكن المدنية لونت شعرهم بلون قوي وخاصة حين عقد الشعر اقوى الصلات بينه وبين الجمال الاجنبي ، وهذا النوع من الجمال في السودان وفي مدنه على وجه الخصوص قسمان : قسم مستقر تمثله الجاليات الاجنبية وقسم منه وافد طارىء يعيش في المجتمع اشهراً معدودات وتمثله الفرق الراقصة التي تهبط هذا البلد فتعرض الفن والمتعة — هذا الجمال الغريب — الى جانب الذكريات المستمدة من الريف — هو الذي ألهم التيجاني والمحجوب وميان كثيراً من الشعر ووصل حياتهم بذكريات كثيرة فرد التيجاني الى صوفية مبهمة وجعل المحجوب يعتنق فلسفة قائمة على اقتران الجمال بالخلق ، وهام ميان في دنيا بوهيمية عارمة حتى لقبه اصحابه بالشاعر الرجيم .

وقد تفاوت هؤلاء الشعراء في القدرة لا في المذهب والاتجاه : فأما الاستاذ يوسف التني فأكثرهم محافظة على الشكل القديم واحتفالا بقوة السبك واما الاستاذ المحجوب فمن اغناهم تجربة وهو على شدة صلته بالادب الغربي يحاول ان يحتفظ بالأصالة وليس عنده استجلاب لساعات الوحي لانه يترك القصيدة تنضج بنفسها وتجيء في اوانها ، ومن ثم نجا من الخضوع للمناسبات في الشعر على كثرة مشاركاته في النواحي الاجتماعية والسياسية . ويمتاز ميان بخصب في العاطفة وبرقة غير مصطنعة وهو من اصدق هؤلاء الشعراء تمثيلا لهذه الفترة واقربهم شكلا الى الشعر المهجري وادقهم تعبيراً عن خلجات نفسه مع قسط وافر من الوضوح في الفكرة والسلامة في العبارة . امـا التيجاني فقد ارتفع بين معاصريه بفلسفته في الحياة وبالتعبير عن صوفية شعرية وحيرة فلسفية وهو كثير التغني بجمال الطبيعة السودانية في مظاهرها المتعددة ويشيع في بعض غزله ذلك الاتجاه القديم الى التغزل بالمذكر . وقد درس الاستاذ عبد المجيد عابدين ناحية الجمال في شعره ودل على النواحي الفنية التي امتاز بها وأشار الى ما يكتنف شعره من غموض وابهام وهي حقيقة ووجه بها التيجاني في حياته فكتب على اثر ذلك مقالا يتهكم فيه بالنقاد ويدافع عن الغموض في الشعر ويثني على الشاعر علي محمود طه لسموه في هذه الناحية . ولعل من اسباب الغموض عند التيجاني محاولته تحليل الاجزاء الصغيرة في المعنى العام ، والاحالة المفرطة في تصور النواحي المعنوية ، ويستمد التيجاني الفاظه من معجم خصب غير انه شديد التصرف بالمجازات ، هجام الخاطر في استعمال الالفاظ .

هؤلاء بعض من قاموا بنهضة الشعر السوداني الحديث من حيث الفكرة والتطبيق (ومجال المقال يضيق عن الاسهاب) متخذين مجلة الفجر معرضاً لانتاجهم الفكري والفني غير ان العمر لم يطل بهذه المجلة فقد توفي منشئها الاول ، وحاول اصدقاؤه بعده ان يحفظوا لها الحياة فلم يتيسر لهم ذلك الا فترة قصيرة من الزمن وعادت الجهود الأدبية تطوى في مسوداتها ، وأخذ الركود الظاهري يسيطر على السوق الأدبية ، وجاءت الحرب العالمية الثانية وليس في البلاد مجلة أدبية واحدة ، فأخذت بعض الصحف (كجريدة النيل) تخصص صفحتها الرابعة للاداب والعلوم والفنون . وتركزت الاماني القومية حول مؤتمر الخريجين الذي اخذ ينظم مهرجانات سنوية تلقى فيها القصائد والمقالات والبحوث ، واستحدثت هيئة الاذاعة البريطانية فكرة المباريات الشعرية في البلاد العربية فشارك الشعراء السودانيون في هذا النشاط ايضاً . وكان من اثر سني الحرب ان اتجه الشعراء الى القومية الممثلة في المؤتمر فتحققت الدعوة التي بدأها مؤسسو المدرسة الرومانطيقية وان ضاق افقها كثيراً حتى اصبح الشعر القومي يعني ما يدور حول فكرة الوطنية وكان محور الشعر ذلك الرمز الوطني المتمثل حينئذ في قوة دفاع السودان وحول هذا الرمز التقى الشعر بالازجال الشعبية واتحدت طريق الفنين ردحاً من الزمن . وعن طريق الحرب زاد اتصال السودان بالخارج وتبع ذلك مظاهر مستحدثة في

موضوعات الشعر فنما على يد الشعراء أدب حربي يستنكر طغيان الانسان وميله الى الدمار والتخريب . ومن الطريف ان الشعراء الشباب الذين تأثروا بعلي محمود طه ومحمود حسن اسماعيل وبكتاب الرسالة وشعرائها اجمالا — لموا في ايديهم جميـــع الخيوط التي كانت موزعة بين مدرسة المحافظين وشعراء النهضة الرومانطيقية وأشير من بينهم الى الشعراء محمد عثمان عبد الرحيم وسعد الدين فوزي ومهدي الامين فقد تغنوا بالنزعة الاسلامية فلم ينسوا فكرة الصداقه مع مصر وان وضعوها في قالب جديد يمثله قول عبد الرحيم

احبك يا مصر حباً يشيد ... بحق الجوار وفضل الادب
وأدعو الى مبدأ الاتحــاد ... على شرط ألا نكون الذنب

وعبروا عن الشعور بالقومية السودانية، وجمعوا بين الحديث عن الديموقراطية ومجد الاسلام في حطين والاندلس والوحدة في جامعة عربية، وعالجوا مشكلة الزواج وتعليم المرأة ومزجوا كل ذلك بالشعر الذاتي التصويري . فامتاز الشاعر سعد الدين فوزي في هذا النوع الاخير وسيطرت على شعره غنائية عذبة تأثر فيها المهندس الى حد ما . ولصلته الوثيقة بالادب الغربي جدد أحياناً في الطريقة فعرض في مسرحية قصيرة عنوانهـــا « الهارب » فكرة التصارع بين حياة المتعة والواجب الوطني . وتحتل الحرب صفحـــات كثيرة من ديوانه كما نلحظ عنده اصطدامه بحياة المدينة وتغنيه بالكوخ وحياة البساطة .

وبعد الحرب انسرب الشعر في اتجاهين متباعدين : اما في الاول فسارت مدرسة البعث الرومانطيقي في طريقها فبلغت مرحلة قريبة من النهائية في شعر حسن عزت صاحب ديوان دموع واشواق . وفي الثاني اتجه الشعر اتجاهاً جماعياً لأن الحرب تمخضت عن ظهور الطبقات الكادحة في نقابات واتحاد . وكثرت الاحزاب المنشقة عن المؤتمر وانتقل الصراع الى نواحي جديدة في الحياة . وبينا يعيد حسن عزت نغمات التيجاني طليعة الوثبة الرومانطيقية نرى في شعر جعفر حامد البشير وشباب آخرين ، اضطلاعاً بالثورة على الاوضاع الاجتماعية السيئـــة ومناصرة للطبقات العاملة وهكذا اخذت تتبلور اصول مدرسة يحمل الشعر فيها رسالة من نوع جديد . وشعر جعفر احـد القـائمين بهذه المدرسة يتدفق ثورة وعنفاً ولا تزال الثورة على « الخائن » في شعره اقوى من الثورة على العدو شأن كثير من الشعر السوداني الحديث ..وهو يعيش في احداث وطنه يوماً بعد يوم وربما أشفق عليه الناقد من مستقبل يطوي اكثر ما يقوله لان هذه الحوادث العابرة لا تكفل الخلود للشعر وخاصة أن جعفراً يعالج الحادثة الجزئية معالجة جزئية ايضاً . غير ان مما يميزه تلك النظرة التفاؤلية التي تنساب في شعره بقوة كما في قوله:

الغاصب المغرور ... قد يتشدد
والسافل المأجور ... قد يتودد
والخائف المذعور ... قد يتردد
مهما يكن فلنا الغد

وليس بين الشعراء المعاصرين من هو كجعفر في سرعة التقاطه لومضات الحرية بين الشعوب المغلوبة ، وومضات التوثب التي ينبض بها قلب السودان . فمن الاول تحية لايران في جهادها ومن الثاني فرحته النشوى بنهضة المرأة السودانية التي يحييها بشعر لعله من اصدق ما يجيش به صدره :

أهي الفتــاة اليوم في ... السودان تـبرز المكفـاح
إن كان ذاك إذن فقـد ... طلعت تبـاشير الصبـاح
وإذن فيـا بشراك يا ... وطني لقد ريش الجنـاح

ولعل جعفر لو بنى شعره على الاوزان القصيره الملتهبة لسلم من اضطرارات كثيرة فشعره في الاوزان المتثاقلة متثاقل متعثر بالالفاظ والتعابير المقتسرة ومع ذلك فما يزال امـــام الشاعر الشاب فسحة مديدة — ان شاء الله — ولعله ان يبني شعره على فلسفة واضحة في واقعيتها وشمولها فـانه اليوم اشد الشعراء صلة بواقع وطنه واكثرهم تعبيراً عن متطلباته العامة صح له ان يستغل الحوادث الجزئية لابداع ادب انساني عميق لا يخفت صوته اذا تجاوز حدود السودان او تجاوز حدود العام الراهن الى عام جديد .

ولا تزال المذاهب الثلاثة المتمثلة في المحافظين والرومانطيقيين والداعين الى الادب الجماعي تعيش متجاورة في السودان ولكن الركود يلفها جميعاً في قتامه لأن المجـــالات التي تحقق ظهور النشاط الادبي ما تزال مغلقة ولم يبق من مظاهر الحياة الادبية الا المهرجانات السنوية وبعض محاضرات في النوادي الثقافية وصفحات من ادب الشعب تعدها جريدة « الصراحة » بين حين وآخر مستهينة باعباء كثيرة. وربما كان تفتح الحياة في السودان الحديث عن مظاهر كثيرة من النهوض والوعي داعياً الى خلق مجالات جديدة يتسع فيهـــا تأثير الادب بحيث يصبح زاداً ضرورياً في حياه الجماهير .

كلية الخرطوم الجامعية ... احسان عباس